

البشارة بميلاد المخلص

الشماس يوسف نورو

(وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل أسمها ناصرة إلى عذراء
مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم.....لوقا 1:26-28).

كان ميلاد يوحنا كما كان ميلاد اسحق نتيجة لتدبير إلهي ومع ذلك فقد تم الميلاد داخل حدوده الطبيعية أي
بزرع بشري. أما ميلاد السيد المسيح فقد تم بطريقة فريدة بواسطة الاقنوم الثالث (الروح القدس). وقد تم
تبشير الملاك لمريم بميلاد السيد المسيح في الشهر السادس من بشارة الملاك لذكريا. وكان لا بد أن يتم
الميلاد بالروح القدس من عذراء لم تمس رجلاً لكي يأخذ المولود جسداً بلا خطية كالجسد الذي خلق به
ادم قبل أن يخطئ. وكانت مريم مخطوبة ليوسف. وحسب العادة الجارية، كانت مدة الخطوبة تستمر سنة
كاملة ثم بعدها الزواج. وجاء في الشريعة عن الفتاة المخطوبة قول موسى النبي (إذا كانت فتاة عذراء
مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فاخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة
وارجموها بالحجارة حتى يموتا.....تثنية 22:23-27). فكانت خطوبة يوسف لمريم اذن أمر
يستلزمه المحافظة على شرف مريم. ولكن ان كان أحد يسأل: لماذا حبلت العذراء بعدما خطبت وليس
حينما كانت غير مخطوبة أو ليس لها زوج؟ فأجيب واقول: بأنه كانت هناك ثلاثة أسباب.

- 1 لكي بنسب يوسف الذي كانت مريم قريبته يظهر أيضاً أصل مريم.
- 2 حتى لا ترجم طبقاً لشريعة موسى كزانية.
- 3 حتى أنه في هروبها إلى مصر تجد معها من يعزيها. لأنه من كان في ذلك الوقت سيصدق كلمة العذراء
انها حبلت من الروح القدس وان الملاك جبرائيل قد أتى وبشرها بغرض الله، ألم يكن الكل سيقولون
ضدها مثل سوسنة؟ لأنه في وقتنا الحاضر على الرغم من ان العالم كله قد اعتنق الإيمان، مازال اليهود
يجادلون في أنه عندما قال إشعياء (هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً) العذراء بالعبرية تعني فتاة وليست
عذراء. القديس لوقا يكرر اسم العذراء لاهتمامه في تأكيد عذراوية القديسة مريم من ناحية، ومن
ناحية أخرى يعبر عن ان اهتمام القديس لوقا يدور حول شخص القديسة مريم أكثر مما يدور حول
يوسف. وما أجمل ان نقابل بين حديث الله لحواء عندما أخطأت وبين حديث الملاك للعذراء
وهو يبشرها. قال لحواء (بالوجع تلدين أولاداً) وأما هنا (للعذراء) فقد انحل الوجع إلى (سلام). ويبدو من
تحية الملاك للقديسة مريم مقدار الكرامة التي تتحلى بها السيدة العذراء (أيتها الممتلئة نعمة).
(وها انت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه
الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الابد ولا يكون لملكه نهاية).

طمأن الملاك مريم فليس هناك من علة للخوف لأنها قد أرضت الرب وقد أمتلأت بالنعمة من عند الله. وتكلم الملاك في بشارته عن صفات يسوع (**أي المخلص**) فهو يكون عظيماً. ويلاحظ ان هذه الصفة قيلت أيضاً عن يوحنا المعمدان. على ان الفارق بين عظمة السيد المسيح وعظمة يوحنا واضحة, إذ ان يوحنا اكتسب عظمته لكونه كان بشيراً بالسيد المسيح, بينما ترجع عظمة السيد المسيح إلى كونه الإله الخالق سيد الكون.

وابن العلى يدعى: ويقصد بالعلى الذي يعلو ويسمو فوق كل موجود. كذلك قيل في البشارة: ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. وهذا هو ما تنبأ عنه داود النبي قانلاً (**اقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه... من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك...مزمور 11:132**). على ان الكرسي هنا لا يقصد به الملك الأرضي بل السماوي. ويلاحظ ان شعب المسيح أطلق عليه أحياناً بيت يعقوب, وأحياناً أخرى اسرائيل. وبالطبع ان التسمية هنا واحدة لأن يعقوب هو اسرائيل. على ان القصد من ذكر اسم يعقوب هو الاشارة إلى البنوة الطبيعية ليعقوب. والقصد من ذكر اسرائيل هو الاشارة إلى البنوة الروحية الجديدة إذ ان اسرائيل هو: الاسم الذي أخذه يعقوب بعد أن باركه الله (**تكوين 9:35**).

ومن صفة الملك: لا يكون له نهاية لأن ملك الابن قد سلم للأب. يقول بولس الرسول (**وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الأب متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.. ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل لكي يكون الله الكل في الكل...1كورنثوس 15:24-28**).

((فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله)).

اختلف موقف العذراء عن موقف زكريا. فسؤال مريم للملاك لم يصدر عن عدم تصديقها للبشارة ولكنه سؤال عن الكيفية التي يمكن ان يتم بها الحبل والولادة دون أن تعرف رجلاً. فهو سؤال طبيعي بالنسبة لحالة عذراء لم تتزوج بعد وهي تتساءل كيف يتم لي هذا الامر إذا كان لن يتم عن الطريق الطبيعي أو الزرع البشري. انها تريد ان تستوضح طريق الولادة لا أن تنتكر للبشارة ومن اجل ذلك فان الملاك لم يدن مريم كما أدان زكريا ولكنه أوضح لها الطريق الذي تتم به الولادة. أما زكريا فقد كان عليه أن يصدق فلم تكن حالته هي الأولى من نوعها فقد سبق ان تمت مواعيد الله مع سارة وحنة وغيرهما. أما بالنسبة للسيدة العذراء فليس هناك حالة أخرى مماثلة تستوجب على مريم أن تقبل البشارة دون تساؤل. لقد كانت حالة مريم حالة فريدة وليس في ذلك عجب لأن المولود أيضاً فريد ليس له مثيل وكذلك سيتم الميلاد بطريقة فريدة أيضاً ((**الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك**)).

ان الروح القدس حل على مريم العذراء وطهرها وأمكن بدون زرع بشري أن يتكون ناسوت للسيد المسيح. الروح القدس هنا لم يعمل خارج مريم, بل عمل أخذاً منها نسل ادم أو الطبيعة البشرية ولكن بدون الخطية الجدية. ولذلك كان يسمى نفسه ابن الانسان.

نحن لا نقول هنا ان السيد المسيح أخذ لاهوته من الروح. الحديث يدور فقط حول الناسوت. أقنوم الكلمة اتحد بالناسوت, دون ان يفصل لا من اقنوم الأب ولا من أقنوم الروح القدس. جوهرياً الأقانيم متحدة في التجسد حدثان تما في لحظة واحدة: (تهينة الناسوت واتحاده باقنوم الكلمة, والروح القدس قام بتهيئة الجسد). مصدر ناسوت السيد المسيح هو العذراء مريم, الروح القدس لم يكن مصدرأ بل كان فاعلاً. الجسد نفسه مأخوذ من العذراء مريم. لا نقول ان الجسد مأخوذ من الروح القدس هذا مستحيل. لكن تحقق التانس هو بلا شك من فعل الروح القدس ومن فعل العذراء. لأنه لا يمكن لأي دور بمفرده ان يحقق التجسد!!! ان الروح القدس هياً الجسد ولكن ليس معنى ذلك انه جزء من الناسوت نفسه. عندما نقول أن دور الروح القدس كان أكبر من دور العذراء مريم في الناسوت, نكون قد ادخلنا اللاهوت في الناسوت. في التجسد لا يوجد مفهوم التزاوج. عندما نقول من الروح القدس (لا نقصد ان الناسوت جزء من الروح القدس) لكن هو من فعل الروح القدس. الحبل العجائبي المعجزي الذي تم, لم يكن من الممكن أن يحصل بدون تدخل الروح القدس. الروح القدس أخذ الطبيعة البشرية من مريم وأعطى هذه الطبيعة أن تصير ناسوتاً كاملاً.

وأما كلمة تظلك: فقد استخدمت في العهد القديم عن السحابة التي كانت تظل خيمة الشهادة (خروج 34:40 , العدد 9:15 , 1 ملوك 8:10). وكذلك السحابة ظللت السيد المسيح على جبل التجلي. فكان قوة العلي هنا تشبه سحابة تظل السيدة العذراء, وفي هذا إشارة إلى عمل الله الذي سيتم في إتمام الحبل بطريقة سرية غير ظاهرة, وكذلك في هذه البشارة إشارة إلى ان المولود قد تم من العذراء مريم وليس فقط من الروح القدس.

وقد ختمت مريم حديثها مع الملاك بهذه العبارة الجميلة (هوذا أنا). وتذكرنا هذه العبارة بقصة ابراهيم يوم امتحنه الرب فأجاب بنفس العبارة. فما أروع ما تمثلت به مريم من طاعة لمواعيد الرب وتصديق لاتمامها. وما أعظم الفارق بين حواء التي عصت فكانت علة لغضب الله وقصاصه, بينما كانت مريم بطاعتها منفذة لرحمة الله وغفرانه. أجل ما أكرمك يا مريم, ما أعظم ايمانك, ما أنقى حياتك وأظهر سيرتك.

لم تشك مطلقاً في قدرة الله ولم تستنكر مواعيده, ومن أجل ذلك أختارتك نعمة الله لتكوني أم النور ووالدة المخلص. فطوبى للتي أمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب+++

الشماس يوسف نورو